

## تفكيك الحيرة

▪ د. أحمد جارالله ياسين

▪ حيرة

\*

من طرق الباب

في هذا الصحو الأخضر

أعطاني غصن الفلّ

وغاب ....

( النص للشاعرة : بشرى البستاني )

\*\*

تتجلى الحيرة أولاً في تنكير العنوان ، إذ لا نسب للحيرة يمكن أن تدعي الانتماء إليه لتفصح عن فاعلها أو بائنها المجهول ، لكن العنوان قد يجد في المتن فضاء للانتساب والانضمام عله يحرز بذلك شيئاً من الدلالة الغائبة في نصه القصير ، بيد ان هذه العلاقة لا تفصح عن دلالة معرفة او لا تتحول بالعنوان إلى جهة التعريف والوضوح لانها على العكس من ذلك تزيد من جو الحيرة وتضاعف الحس بمجهولية مصدرها ، فمن يطرق الباب مجهول وسريع الغياب ، وما يتركه لدى الذات الأخرى ليس سوى رمز بحاجة هو الآخر الى التفكيك لفهمه وتأويله .

يتحول الفعل العادي ( طرق الباب ) إلى فعل شعري بفضل سلوك الطارق المجهول وما يقدمه لمن يفتح الباب ، فضلاً عن غيابه السريع ، وفعل الطرق يتم في فضاء ذي بعد تشكيلي ملون ( أخضر ) يحمل دلالة نفسية ترتبط بما لهذا اللون من دلالات النماء والخصب والحياة ، ويتضاعف حضور هذه الدلالات عبر الاقتران باللون الآخر المبعوث في ( غصن الفل ) فيكتب الجو كله دلالات الجمال والذوق الرفيع ، إذ أن العطاء الذي يبذله الطارق يتم في جو من الصحو الأخضر ، والصحو ترشح منه دلالات الصفاء ، والثبات والاستقرار والوضوح ، مما يجعل عملية استلام غصن الفل تتم في مسار من الجمال لا تنتهي دلالاته إلا عند كل

ما هو مرتبط بالاجابية . على الرغم مما يثيره العنوان النكرة ودلالاته ( الحيرة ) وغياب الطارق المجهول من إحياءات تدفع القارئ الى استقبال النص القصير برد فعل سلبي اولي ، غير انه يتحول الى رد فعل ايجابي عند تفكيك المرسله الشعريه كلها بدءا من العنوان .

لا شك في ان جزءا من جمالية الموقف في النص يتمثل بالاجاذبية النفسية التي تنبعث عن صفة ( المجهولية ) التي اكتسبها العنوان والطارق ثم غيابه السريع المفاجئ .

ان جانبا كبيرا من جمالية الشعر يتمثل برصده أو تطلعه الدائم الى خلخلة اليومي العادي ، فطرق الباب فعل يومي عادي جدا ، غير انه يصير فعلا مثيرا للقلق والتساؤل والتفكير ومبعثا ل ( حيرة ) لا تنتهي لحظة دخوله عالم الشعر .

إن الغائب - الطارق الذي يقدم غصن الفل نجد في سلوكه ( العطاء ) و ( الطرق ) رغبة بالتواصل مع الذات الأخرى التي تستقبل سلوكه بحيرة فيها لذة ، وبوح فيها اعتداد بالجانب الجمالي والذوقي في تكوينها ذلك أنها تضخ عبر الإشارة الى استقبالها لفعل الإهداء او العطاء ( أعطاني غصن الفل ) مما يشير الى فهم الآخر لتكوينها السابق ودرجة حساسيته الجمالية والذوقية العالية التي لولا اتسامها بهذا الوصف لها لما اختار الطارق من دون مكونات العالم كله ( غصن الفل ) ليقدمه إليها ، إن سلوك الطارق يتضمن صورة الذات الأخرى كما هي تريد أن تكون عليه في منظور الطارق الذي يبدو مهما في النص حرا في سلوكه وعطائه ، غير انه في الحقيقة ليس سوى صورة مستلة من الذات الساردة لمتن الحكاية ومكرسة سلوكا وفكرا وذوقا لاستجلاء الغائب من صورة السارد المتمثل بهذا الجانب الرومانسي المتشعرن الذي يصور للقارئ وجود فاعلين في النص : الطارق والفاتح مع أنهما ذات واحدة ( الساردة ) مهينة ضمنيا . الثانية - الطارق ، وعلنيا يبدو الأمر على العكس ، وما تغيب الثانية السريع الا برغبة من الأولى في إقصاء الثانية خشية أن تتحول إلى واقع وتبرز عنها ثوبها الورقي وتكوينها اللفظي ولذلك أيضا جاء النص قصيرا يتناسب وحجم النفس القصير الذي تتسع بحدوده فقط الذات الساردة لتقبل حضور الآخر - الطارق ، فمساحة التواصل بين الذاتين يجب إلا تتجاوز فعلين ، والرسالة المرسله من الطارق يجب أن تكون

وفق معايير المرسل إليه وليس أجمل من ( غصن الفل ) رسالة يمكن أن ترسل إلى الذات الساردة وفقا للمواصفات السابقة لا سيما أنها - في حقيقة الأمر من يرسل غصن الفل - عبر يد الطارق التي هي يدها - في صحو أخضر .

فالحيرة وفق التحليل السابق مفتعلة ، وتنكيرها الذي يحيل بثه على الطارق إنما مصدره على العطس كمن ذلك هو الذات المستقبلية ( الساردة ) لأنها في حيرة بين الانغلاق والانفتاح مع الآخر ، وحين جربت لعبة الانفتاح اختارت لها بطلا مجهولا سريع الغياب وهدية شعرية ( غصن الفل ) وجوا جماليا ( صحو أخضر ) ، ومن ثم فإنها في حقيقة الأمر لم تنفتح على الآخر لأنها حتى في هذه التجربة ظلت ذاتا واحدة ، ولم يكن الطارق سوى ذات مصطنعة لانجاز التجربة رسمت حركتها الذات الساردة التي تزعم أن للنص عنوانا ( حيرة ) ذا بعد مفتوح بثته يد الطارق بفعالها ( طرقت الباب ) ( إهداء غصن الفل ) .

وبانتهاء التجربة تغيب الذات المصطنعة ( الطارق ) ليستمر حضور الذات الساردة منتشية بالزيارة والهدية ، وحيرتها الشعرية التي تحاول استقطاب القارئ إلى فخ فضائها الملتبس ليشاركها في طرح الأسئلة والتطلع إلى معرفة الطارق وسر هديته ، ثم غيابه المفاجئ ، وما تسبب عن هذه الأمور الثلاثة من حيرة اعتلت النص على عتبة العنوان لتزيد من عملية التمويه الشعري التي يمكن تقويض بنائها بسوء الظن القرائي في علامات النص ومبناه الحكائي .